حقيبة العقيدة أولاً

2

فتاوى

في العقيدة

سماحة الشيخ

عبد العزيز بن عبد الله بن باز

رحمه الله تعالى

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله وبعد:

فهذه فتاوى منتقاة من كتاب «فتاوى مهمة تتعلق بالعقيدة» لسماحة الشيخ عبدالعزيز ابن باز. نسأل الله أن ينفع بها.

س ١: انتشرت في بعض المجتمعات الإسلامية مخالفات متعددة، منها ما يقع عند بعض القبور، ومنها ما يتصل بالحلف والأيمان والنذور، وقد تختلف أحكام هذه المخالفات بين ما يكون منها من قبيل الشرك المخرج من الملة، وما يكون دون ذلك، فحبذا لو تفضل سماحتكم ببسط القول وبيان أحكام تلك المسائل لهم، ونصيحة أخرى لعامة المسلمين ترهيباً لهم من التساهل بأمر تلك المخالفات والتهاون بشأنها؟

ج ١: الحمد لله، وصلى الله وسلم على رسول الله وعلى آله وأصحابه ومن اهتدى بهداه.

أما بعد: فإن كثيراً من الناس تلتبس عليهم الأمور المشروعة بالأمور الشركية والمبتدعة حول القبور، كما أن كثيراً منهم قد يقع في الشرك الأكبر بسبب الجهل والتقليد الأعمى.

فالواجب على أهل العلم في كل مكان أن يوضحوا للناس دينهم، وأن يبينوا لهم حقيقة التوحيد، وحقيقة الشرك. كما يجب على أهل العلم أن يوضحوا للناس وسائل الشرك وأنواع البدع الواقعة بينهم حتى يحذروها؛ لقول الله عز وجل: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ ...﴾ [آل عمران: ١٨٧] الآية. وقال سبحانه: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَىٰ مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَٰئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ ﴿١٥٩﴾ إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَبَيَّنُوا فَأُولَٰئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَأَنَا التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾ [البقرة: ١٥٩، ١٦٠].

وقال النبي ﷺ: «من دل على خير فله مثل أجر فاعله» رواه مسلم في صحيحه.

وقال أيضاً عليه الصلاة والسلام: «من دعا إلى هدى كان له من الأجر مثل أجور من تبعه، لا ينقص ذلك من أجورهم شيئاً، ومن دعا إلى ضلالة كان عليه من الإثم مثل آثام من تبعه، لا ينقص ذلك من آثامهم شيئاً» رواه مسلم أيضاً.

وفي الصحيحين عن معاوية رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: «من يُرد الله به خيراً يفقهه في الدين».

والآيات والأحاديث في الدعوة إلى نشر العلم وترغيب الناس في ذلك والتحذير من

الإعراض وكتمان العلم كثيرة.

* أما ما يقع عند القبور من أنواع الشرك والبدع في بلدان كثيرة فهو أمر معلوم وجدير بالعناية والبيان والتحذير منه، فمن ذلك دعاء أصحاب القبور والاستغاثة بهم، وطلب شفاء المرضى، والنصر على الأعداء، ونحو ذلك، وهذا كله من الشرك الأكبر الذي كان عليه أهل الجاهلية، قال الله سبحانه: ﴿يا أيها الناس اعبدوا ربكم الذي خلقكم والذين من قبلكم لعلكم تتقون﴾ [البقرة: ٢١]. وقال سبحانه: ﴿وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون﴾ [الذاريات: ٥٦]. وقال سبحانه: ﴿وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه﴾ [الإسراء: ٢٣].

والمعنى أمر وأوصى، وقال سبحانه: ﴿وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء...﴾ [البينة: ٥].

والآيات في هذا المعنى كثيرة، والعبادة التي خلق الثقلان لأجلها وأمروا بها هي توحيده سبحانه، وتخصيصه بجميع الطاعات التي أمر بها من صلاة، وصوم، وزكاة، وحج، وذبح، ونذر وغير ذلك من أنواع العبادة، كما قال سبحانه: ﴿قل إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين (١٦٢)﴾ [الأنعام: ١٦٢]. والنسك هو العبادة ومنها الذبح كما قال سبحانه: ﴿إنا أعطيناك الكوثر (١) فصل لربك وانحر﴾ [الكوثر: ١، ٢].

وقال النبي ﷺ: «لعن الله من ذبح لغير الله» أخرجه مسلم في صحيحه من حديث أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه.

وقال الله سبحانه: ﴿وأن المساجد لله فلا تدعوا مع الله أحدا﴾ [الجن: ١٨]. وقال عز وجل: ﴿ومن يدع مع الله إلها آخر لا برهان له به فإنما حسابه عند ربه إنه لا يفلح الكافرون﴾ [المؤمنون: ١١٧]. وقال عز وجل في سورة فاطر: ﴿ذلكم الله ربكم له الملك والذين تدعون من دونه ما يملكون من قطمير (١٣) إن تدعوهم لا يسمعوا دعاءكم ولو سمعوا ما استجابوا لكم ويوم القيامة يكفرون بشرككم ولا ينبئك مثل خبير﴾ [فاطر: ١٣، ١٤].

فأوضح سبحانه في هذه الآيات أن الصلاة لغيره، والذبح لغيره، ودعاء الأموات والأصنام والأشجار والأحجار، كل ذلك من الشرك بالله والكفر به، وأن جميع المدعوين من دونه من أنبياء أو ملائكة أو أولياء، أو جن أو أصنام أو غيرهم لا يملكون لداعيهم نفعا ولا ضرا، وأن دعوتهم من دونه سبحانه شرك وكفر، كما أوضح سبحانه أنهم لا يسمعون دعاء داعيهم، ولو سمعوا لم يستجيبوا له.

* فالواجب على جميع المكلّفين من الجنّ والإنس الحذر من ذلك والتّحذير منه، وبيان بطلانه، وأنه يخالف ما جاءت به الرّسل عليهم الصلاة والسلام، من الدعوة إلى توحيد الله، وإخلاص العبادة له، كما قال سبحانه: ﴿ ولقد بعثنا في كُلّ أُمّة رسولاً أن اعبدوا الله واجتنبوا الطّاغوت ﴾ [النحل: ٣٦]. وقال سبحانه: ﴿ وما أرسلنا من قبلك من رسول إلاّ نوحي إليه أنّه لا إله إلا أنا فاعبدون ﴾ [الأنبياء: ٢٥].

وقد مكث ﷺ في مكّة المكرمة ثلاث عشرة سنة يدعو فيها إلى الله سبحانه، ويحذّر الناس من الشرك به، ويوضّح لهم معنى لا إله إلا الله، فاستجاب له الأقلّون، واستكبر عن طاعته واتباعه الأكثرون، ثم هاجر إلى المدينة عليه الصلاة والسلام، فنشر الدعوة إلى الله سبحانه هناك بين المهاجرين والأنصار، وجاهد في سبيل الله، وكتب إلى الملوك والرؤساء وأوضح لهم دعوته، وما جاء به من الهدى، وصبر وصابر في ذلك هو وأصحابه ﷺ حتى ظهر دين الله، ودخل الناس في دين الله أفواجاً، وانتشر التّوحيد وزال الشرك من مكة والمدينة ومن سائر الجزيرة على يده ﷺ وعلى يد أصحابه من بعده، ثم قام أصحابه بالدعوة إلى الله سبحانه والجهاد في سبيله في المشارق والمغارب حتى نصرهم الله على أعدائه، ومكّن لهم في الأرض، وظهر دين الله على سائر الأديان، كما وعد بذلك سبحانه في كتابه العظيم حيث قال عزّ وجلّ: ﴿ هو الذي أرسل رسوله بالهُدى ودين الحقّ ليُظهره على الدّين كلّه ولو كره المشركون ﴾ [التوبة: ٣٣].

* ومن البدع ووسائل الشرك ما يفعل عند القبور من الصلاة عندها، والقراءة عندها، وبناء المساجد والقباب عليها، وهذا كله بدعة ومنكر ومن وسائل الشرك الأكبر، ولهذا صحّ عن رسول الله ﷺ أنه قال: «لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد». متفق على صحته من حديث عائشة ﷺ. وفي صحيح مسلم عن جندب بن عبدالله ﷺ عن النبي ﷺ أنه قال: «ألا وإن من كان قبلكم كانوا يتخذون قبور أنبيائهم وصالحيهم مساجد، ألا فلا تتخذوا القبور مساجد، فإني أنهاكم عن ذلك».

فأوضح ﷺ في هذين الحديثين وما جاء في معناهما: أن اليهود والنصارى كانوا يتخذون قبور أنبيائهم مساجد، فحذّر أمّته من التشبّه بهم باتخاذها مساجد، والصلاة عندها، والعكوف عندها، والقراءة عندها؛ لأنّ هذا كله من وسائل الشرك.

* ومن ذلك: البناء عليها، واتخاذ القباب والسّتور عليها. فكل ذلك من وسائل الشرك والغلو في أهلها، كما قد وقع ذلك من اليهود والنصارى ومن جهال هذه الأمة.

حتى عبدوا أصحاب القبور، وذبحوا لهم، واستغاثوا بهم، ونذروا لهم، وطلبوا منهم شفاء المرضى، والنصر على الأعداء. كما يعلم ذلك من عرف ما يفعل عند قبر الحسين، والبدوي، والشيخ عبدالقادر الجيلاني، وابن عربي وغيرهم من أنواع الشرك الأكبر. والله المستعان، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

* وقد صح عن رسول الله ﷺ أنه نهى عن تجصيص القبور، والقعود عليها، والبناء عليها، والكتابة عليها، وما ذاك إلا لأن تجصيصها والبناء عليها من وسائل الشرك الأكبر بأهلها.

* فالواجب على جميع المسلمين حكومات وشعوبا الحذر من هذا الشرك ومن هذه البدع، وسؤال أهل العلم المعروفين بالعقيدة الصحيحة، والسير على منهج سلف الأمة عما أشكل عليهم من أمور دينهم حتى يعبدوا الله على بصيرة عملا بقول الله عز وجل: ﴿ فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون ﴾ [النحل: ٤٣].

وقول النبي ﷺ: «من سلك طريقا يلتمس فيه علما سهل الله له به طريقا إلى الجنة». وقوله ﷺ: «من يرد الله به خيرا يفقهه في الدين».

ومعلوم أن العباد لم يخلقوا عبثا وإنما خلقوا لحكمة عظيمة وغاية شريفة، وهي عبادة الله وحده دون كل ما سواه، كما قال عز وجل: ﴿ وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون ﴾ [الذاريات: ٥٦].

ولا سبيل إلى معرفة هذه العبادة إلا بتدبر الكتاب العظيم والسنة المطهرة، ومعرفة ما أمر الله به ورسوله من أنواع العبادة، وسؤال أهل العلم عما أشكل في ذلك.

* وبذلك تعرف عبادة الله سبحانه وتعالى التي خلق العباد من أجلها، وتؤدى على الوجه الذي شرعه الله، وهذا هو السبيل الوحيد إلى مرضاة الله سبحانه والفوز بكرامته، والنجاة من غضبه وعقابه. وفق الله المسلمين لكل ما فيه رضاه، ومنحهم الفقه في دينه، وولى عليهم خيارهم وأصلح قادتهم، ووفق علماء المسلمين لأداء ما يجب عليهم من الدعوة والتعليم، والنصح والتوجيه، إنه جواد كريم.

* ومن أنواع الشرك: الحلف بغير الله، كالحلف بالأنبياء، وبرأس فلان، والحلف بالأمانة والشرف، وقد صح عن رسول الله ﷺ أنه قال: «من كان حالفا فليحلف بالله أو ليصمت» متفق على صحته، وقوله ﷺ: «من حلف بشيء دون الله فقد أشرك». رواه الإمام أحمد عن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه بإسناد صحيح.

وقوله ﷺ: «من حلف بغير الله فقد كفر أو أشرك». أخرجه أبو داود والترمذي

بإسناد صحيح من حديث ابن عمر ﷺ، وقال عليه الصلاة والسلام: «من حلف بالأمانة فليس منّا». وقال أيضاً عليه الصلاة والسلام: «لا تحلفوا بآبائكم ولا بأمّهاتكم، ولا بالأنداد، ولا تحلفوا بالله إلا وأنتم صادقون».

والأحاديث في هذا المعنى كثيرة، والحلف بغير الله من الشرك الأصغر، وقد يُفضي إلى الشرك الأكبر إذا اعتقد تعظيمه مثل تعظيم الله، أو أنه ينفع ويضرّ دون الله، أو أنه يصلح لأن يُدعى أو يُستغاث به.

* ومن هذا الباب قول: ما شاء الله وشاء فلان، ولولا الله وفلان، وهذا من الله وفلان، وهذا كله من الشرك الأصغر لقول النبي ﷺ: «لا تقولوا ما شاء الله وشاء فلان، ولكن قولوا ما شاء الله ثم شاء فلان».

وبهذا يُعلم أنه لا حرج بأن يقول: لولا الله ثم فلان، أو هذا من الله ثم فلان؛ إذا كان له تسبّب في ذلك.

وثبت عنه ﷺ أن رجلاً قال له: ما شاء الله وشئت، فقال ﷺ: «أجعلتني لله نداً، قل: ما شاء الله وحده».

* فدلّ هذا الحديث على أنه إذا قال: ما شاء الله وحده، فهذا هو الأكمل، وإن قال: ما شاء الله ثم شاء فلان فلا حرج جمعاً بين الأحاديث والأدلّة كلها، والله ولي التوفيق.

س ٢: يخلط بعض الناس بين التوسُّل بالإيمان بالنبي ﷺ ومحبّته وطاعته، والتوسّل بذاته وجاهه، كما يقع الخلط بين التوسل بدعائه عليه الصلاة والسلام في حياته، وسؤاله الدعاء بعد مماته، وقد ترتّب على هذا الخلط التباس المشروع من ذلك بالممنوع منه، فهل من تفصيل يزيل اللّبس في هذا الباب، ويُردّ به على أصحاب الأهواء الذين يلبسون على المسلمين في هذه المسائل؟

ج ٢: لاشكّ أن كثيراً من الناس لا يفرّقون بين التوسّل المشروع والتوسّل الممنوع بسبب الجهل وقلّة من ينبّههم ويرشدهم إلى الحقّ، ومعلوم أن بينهما فرقاً عظيماً، فالتوسّل المشروع هو الذي بعث الله به الرّسل، وأنزل به الكتب، وخلق من أجله الثّقلين، وهو عبادته سبحانه ومحبّته ومحبّة رسوله عليه الصلاة والسلام، ومحبّة جميع الرّسل والمؤمنين، والإيمان به وبكلّ ما أخبر الله به ورسوله من البعث والنّشور، والجنة والنار، وسائر ما أخبر الله به ورسوله.

* فهذا كلّه من الوسيلة الشرعيّة لدخول الجنة والنجاة من النار، والسعادة في الدنيا

والآخرة، ومن ذلك دعاؤه سبحانه والتوسل إليه بأسمائه وصفاته ومحبته، والإيمان به وبجميع الأعمال الصالحة التي شرعها لعباده، وجعلها وسيلة إلى مرضاته والفوز بجنته وكرامته، والفوز أيضا بتفريج الكروب وتيسير الأمور في الدنيا والآخرة، كما قال الله عز وجل: ﴿ومن يتق الله يجعل له مخرجا ۝ ويرزقه من حيث لا يحتسب﴾ [الطلاق: ٢، ٣]. وقال سبحانه: ﴿ومن يتق الله يجعل له من أمره يسرا﴾ [الطلاق: ٤]. وقال عز وجل: ﴿ومن يتق الله يكفر عنه سيئاته ويعظم له أجرا﴾ [الطلاق: ٥]. وقال عز وجل: ﴿إن المتقين في جنات وعيون﴾ [الذاريات: ١٥]. وقال سبحانه: ﴿إن المتقين في جنات ونعيم﴾ [الطور: ١٧]. وقال تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا إن تتقوا الله يجعل لكم فرقانا ويكفر عنكم سيئاتكم ويغفر لكم﴾ [الأنفال: ٢٩] الآية. هو العلم والهدى والفرقان. والآيات في هذا المعنى كثيرة.

* ومن التوسل المشروع التوسل إلى الله سبحانه بمحبة نبيه ﷺ والإيمان به، واتباع شريعته؛ لأن هذه الأمور من أعظم الأعمال الصالحات، ومن أفضل القربات.

* أما التوسل بجاهه ﷺ أو بذاته، أو بحقه، أو بجاه غيره من الأنبياء والصالحين أو ذواتهم أو حقهم، فمن البدع التي لا أصل لها؛ بل من وسائل الشرك؛ لأن الصحابة رضوان الله عليهم وهم أعلم الناس بالرسول ﷺ وبحقه لم يفعلوا ذلك، ولو كان خيرا لسبقونا إليه، ولما أجدبوا في عهد عمر رضي الله عنه لم يذهبوا إلى قبره ﷺ، ولم يتوسلوا به ولم يدعوا عنده؛ بل استسقى عمر رضي الله عنه بعم النبي ﷺ العباس بن عبدالمطلب أي بدعائه، فقال رضي الله عنه وهو على المنبر: «اللهم إنا كنا إذا أجدبنا نتوسل إليك بنبينا فتسقينا. وإنا نتوسل إليك بعم نبينا فاسقنا فيسقون» رواه البخاري في صحيحه.

ثم أمر رضي الله عنه العباس أن يدعو فدعا، وأمن المسلمون على دعائه؛ فسقاهم الله عز وجل. وقصة أهل الغار مشهورة، وهي ثابتة في الصحيحين، وخلاصتها أن ثلاثة ممن كان قبلنا آواهم المبيت والمطر إلى غار، فدخلوا فيه فانحدرت صخرة من الجبل فسدت عليهم الغار، ولم يستطيعوا دفعها، فقالوا فيما بينهم: لن ينجيكم من هذه الصخرة إلا أن تدعوا الله بصالح أعمالكم، فدعوه سبحانه واستغاثوا به وتوسل أحدهم ببر والديه. والثاني بعفته عن الزنا بعد القدرة، والثالث بأدائه الأمانة. فأزاح الله عنهم الصخرة وخرجوا، وهذه القصة من الدلائل العظيمة على أن الأعمال الصالحة من أعظم الأسباب في تفريج الكروب والخروج من المضائق، والعافية من شدائد الدنيا والآخرة.

* أما التوسّل بجاه فلان أو بحقّ فلان أو ذاته، فهذا من البدع المنكرة، ومن وسائل الشرك، وأما دعاء الميّت والاستغاثة به فذلك من الشرك الأكبر.

والصحابة ﷺ كانوا يطلبون من النبي ﷺ أن يدعو لهم، وأن يستغيث لهم إذا أجدبوا، ويشفع في كل ما ينفعهم حين كان حيًا بينهم، فلما توفي ﷺ، لم يسألوه شيئا بعد وفاته، ولم يأتوا إلى قبره يسألونه الشفاعة أو غيرها؛ لأنهم يعلمون أن ذلك لا يجوز بعد وفاته ﷺ وإنما يجوز ذلك في حياته ﷺ قبل موته ويوم القيامة حين يتوجّه إليه المؤمنون؛ ليشفع لهم ليقضي الله بينهم ولدخولهم الجنة، بعدما يأتون آدم، ونوحا، وإبراهيم، وموسى، وعيسى، عليهم الصلاة والسلام، فيعتذرون عن الشفاعة، كل واحد يقول: نفسي نفسي، اذهبوا إلى غيري، فإذا أتوا عيسى عليه الصلاة والسلام،اعتذر إليهم وأرشدهم إلى أن يأتوا نبينا محمدا ﷺ فيأتونه فيقول: «أنا لها، أنا لها» لأن الله سبحانه قد وعده ذلك، فيذهب ويخرّ ساجدا بين يدي الله عزّ وجلّ، ويحمده بمحامد كثيرة، ولا يزال ساجدا حتى يُقال له: «ارفع رأسك وقل تُسمع، وسل تعط، واشفع تشفّع».

وهذا الحديث ثابت في الصحيحين، وهو حديث الشفاعة المشهور، وهذا هو المقام المحمود الذي ذكره الله سبحانه في قوله تعالى في سورة الإسراء: ﴿عسى أن يبعثك ربك مقاما محمودا﴾ [الإسراء: ٧٩].

صلى الله عليه وسلم وعلى آله وأصحابه وأتباعه بإحسان، وجعلنا الله من أهل شفاعته، إنه سميع قريب.

س ٣: يُلاحظ جهل كثير من المسلمين بمعنى لا إله إلا الله، وقد ترتب على ذلك الوقوع فيما يُنافيها ويُضادّها أو ينقضها من الأقوال والأعمال. فما معنى لا إله إلا الله؟ وما مقتضاها؟ وما شروطها؟

ج ٣: لاشكّ أن هذه الكلمة وهي لا إله إلا الله هي أساس الدين، وهي الركن الأول من أركان الإسلام، مع شهادة أنّ محمدا رسول الله كما في الحديث الصحيح عن النبي ﷺ أنه قال: «بُني الإسلام على خمس: شهادة أن لا إله إلا الله وأنّ محمدا رسول الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصوم رمضان، وحج البيت» متفق على صحته من حديث ابن عمر رضي الله عنهما.

* وفي الصحيحين عن ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي ﷺ لما بعث معاذا رضي الله عنه إلى اليمن قال له: «إنك تأتي قوما من أهل الكتاب، فادعهم إلى أن يشهدوا أن لا إله إلا الله، وأني رسول الله، فإن أطاعوك لذلك فأعلمهم أن الله افترض عليهم خمس صلوات في اليوم

والليلة، فإن أطاعوك لذلك فأعلمهم أن الله افترض عليهم صدقة تؤخذ من أغنيائهم فترد في فقرائهم» الحديث متفق عليه، والأحاديث في هذا الباب كثيرة.

* ومعنى شهادة أن لا إله إلا الله: لا معبود بحق إلا الله، وهي تنفي الإلهية بحق عن غير الله سبحانه وتثبتها بالحق لله وحده، كما قال الله عز وجل في سورة الحج: ﴿ذلك بأن الله هو الحق وأن ما يدعون من دونه هو الباطل﴾ [الحج: ٦٢]. وقال سبحانه في سورة المؤمنون: ﴿ومن يدع مع الله إلها آخر لا برهان له به فإنما حسابه عند ربه إنه لا يفلح الكافرون﴾ [المؤمنون: ١١٧]. وقال عز وجل في سورة البقرة: ﴿وإلهكم إله واحد لا إله إلا هو الرحمن الرحيم﴾ [البقرة: ١٦٣]. وقال في سورة البينة: ﴿وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء﴾ [البينة: ٥].

والآيات في هذا المعنى كثيرة، وهذه الكلمة العظيمة لا تنفع قائلها ولا تخرجه من دائرة الشرك إلا إذا عرف معناها وعمل به وصدق به.

وقد كان المنافقون يقولونها وهم في الدرك الأسفل من النار؛ لأنهم لم يؤمنوا بها ولم يعملوا بها. وهكذا اليهود تقولها وهم من أكفر الناس لعدم إيمانهم بها.

* وهكذا عباد القبور والأولياء من كفار هذه الأمة يقولونها وهم يخالفونها بأقوالهم وأفعالهم وعقيدتهم، فلا تنفعهم ولا يكونون بقولها مسلمين؛ لأنهم ناقضوها بأقوالهم، وأعمالهم وعقائدهم، وقد ذكر بعض أهل العلم أن شروطها ثمانية، جمعها في بيتين فقال:

علم يقين وإخلاص وصدقك مع ... محبة وانقياد والقبول لها
وزيد ثامنها الكفران منك بما ... سوى الإله من الأشياء قد ألها

وهذان البيتان قد استوفيا جميع شروطها:

الأول: العلم بمعناها المنافي للجهل: وتقدم أن معناها: لا معبود حق إلا الله، فجميع الآلهة التي يعبدها الناس سوى الله سبحانه كلها باطلة.

الثاني: اليقين المنافي للشك: فلابد في حق قائلها أن يكون على يقين بأن الله سبحانه هو المعبود بالحق.

الثالث: الإخلاص: وذلك بأن يخلص العبد لربه سبحانه - وهو الله عز وجل - جميع العبادات، فإذا صرف منها شيئا لغير الله من نبي أو ولي أو ملك أو صنم أو جني أو غيرها فقد أشرك بالله، ونقض هذا الشرط وهو شرط الإخلاص.

الرابع: الصدق: ومعناه أن يقولها وهو صادق في ذلك، يطابق قلبه لسانه، ولسانه

قلبه، فإن قالها باللسان فقط وقلبه لم يؤمن بمعناها فإنها لا تنفعه، ويكون بذلك كافرا كسائر المنافقين.

الخامس: المحبة: ومعناها أن يحب الله عز وجل، فإن قالها وهو لا يحب الله صار كافرا لم يدخل في الإسلام كالمنافقين.

ومن أدلة ذلك قوله تعالى: ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ ﴾ [آل عمران: ٣١]. وقوله سبحانه: ﴿ ومن الناس من يتخذ من دون الله أندادا يحبونهم كحب الله والذين آمنوا أشد حبا لله ﴾ [البقرة: ١٦٥]. والآيات في هذا المعنى كثيرة.

السادس: الانقياد لما دلت عليه من المعنى: ومعناه أن يعبد الله وحده وينقاد لشريعته، ويؤمن بها، ويعتقد أنها الحق، فإن قالها ولم يعبد الله وحده، ولم ينقد لشريعته بل استكبر عن ذلك، فإنه لا يكون مسلما كإبليس وأمثاله.

السابع: القبول لما دلت عليه: ومعناه أن يقبل ما دلت عليه من إخلاص العبادة لله وحده، وترك عبادة ما سواه، وأن يلتزم بذلك ويرضى به.

الثامن: الكفر بما يُعبد من دون الله: ومعناه أن يتبرأ من عبادة غير الله ويعتقد أنها باطلة. كما قال الله سبحانه: ﴿ فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى لا انفصام لها والله سميع عليم ﴾ [البقرة: ٢٥٦].

وصح عن رسول الله ﷺ أنه قال: «من قال لا إله إلا الله وكفر بما يُعبد من دون الله حرم ماله ودمه وحسابه على الله». وفي رواية عنه ﷺ أنه قال: «من وحد الله وكفر بما يعبد من دون الله حرم ماله ودمه» أخرجهما مسلم في صحيحه.

﴿ فالواجب على جميع المسلمين أن يحققوا هذه الكلمة بمراعاة هذه الشروط، ومتى وجد من المسلم معناها والاستقامة عليه فهو مسلم حرام الدم والمال.

وإن لم يعرف تفاصيل هذه الشروط؛ لأن المقصود هو العلم بالحق والعمل به، وإن لم يعرف المؤمن تفاصيل الشروط المطلوبة.

والطاغوت هو كل ما عُبد من دون الله كما قال الله عز وجل: ﴿ فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى لا انفصام لها ﴾ [البقرة: ٢٥٦] الآية.

وقال سبحانه: ﴿ ولقد بعثنا في كل أمة رسولا أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت ﴾ [النحل: ٣٦]. ومن كان لا يرضى بذلك من المعبودين من دون الله كالأنبياء والصالحين والملائكة فإنهم ليسوا بطواغيت. وإنما الطاغوت هو الشيطان الذي دعا إلى عبادتهم

وزينها للناس، نسأل الله لنا وللمسلمين العافية من كل سوء.

* وأما الفرق بين الأعمال التي تنافي هذه الكلمة - وهي لا إله إلا الله - والتي تنافي كمالها الواجب، فهو: أن كل عمل أو قول أو اعتقاد يوقع صاحبه في الشرك الأكبر فهو ينافيها بالكلية ويضادها كدعاء الأموات والملائكة والأصنام والأشجار والأحجار والنجوم وغير ذلك. والذبح لهم، والنذر والسجود لهم وغير ذلك.

* فهذا كله ينافي التوحيد بالكلية ويضاد هذه الكلمة ويُبطلها، وهي لا إله إلا الله.

* ومن ذلك استحلال ما حرّم الله من المحرمات المعلومة من الدين بالضرورة والإجماع كالزنا، وشرب المسكر، وعقوق الوالدين، والربا ونحو ذلك.

* ومن ذلك أيضاً جحد ما أوجب الله من الأقوال والأعمال المعلومة من الدين بالضرورة والإجماع كوجوب الصلوات الخمس، والزكاة، وصوم رمضان، وبرّ الوالدين، والنطق بالشهادتين ونحو ذلك.

* أما الأقوال والأعمال والاعتقادات التي تضعف التوحيد والإيمان، وتنافي كمالها الواجب، فهي كثيرة ومنها:

الشرك الأصغر: كالرياء، والحلف بغير الله، وقول ما شاء الله وشاء فلان، أو هذا من الله ومن فلان، ونحو ذلك، وهكذا جميع المعاصي كلها تضعف التوحيد والإيمان وتنافي كمالها الواجب، فالواجب الحذر من جميع ما ينافي التوحيد والإيمان أو ينقص ثوابهما.

والإيمان عند أهل السنة والجماعة قول وعمل، يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية، والأدلة على ذلك كثيرة أوضحها أهل العلم في كتب العقيدة وكتب التفسير والحديث، فمن أرادها وجدها والحمد لله. ومن ذلك قول الله تعالى: ﴿ وإذا ما أنزلت سورة فمنهم من يقول أيكم زادته هذه إيماناً فأما الذين آمنوا فزادتهم إيماناً وهم يستبشرون ﴾ [التوبة: ١٢٤]. وقوله سبحانه: ﴿ إنما المؤمنون الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم وإذا تليت عليهم آياته زادتهم إيماناً وعلى ربهم يتوكلون ﴾ [الأنفال: ٢]. وقوله سبحانه: ﴿ ويزيد الله الذين اهتدوا هدى ﴾ [مريم: ٧٦]، والآيات في هذا المعنى كثيرة.

س ٤: هناك من يرى جواز التبرك بالعلماء والصالحين وآثارهم، مستدلاً بما ثبت من تبرك الصحابة رضي الله عنهم بالنبي ﷺ فما حكم ذلك؟ ثم أليس فيه تشبيه لغير النبي ﷺ بالنبي ﷺ؟ وهل يمكن التبرك بالنبي ﷺ بعد وفاته؟ وما حكم التوسل إلى الله تعالى ببركة النبي ﷺ؟

ج ٤: لا يجوز التبرك بأحد غير النبي ﷺ، لا بوضوئه، ولا بشعره، ولا بعرقه، ولا بشيء

من جسده؛ بل هذا كله خاص بالنبي ﷺ لما جعل الله في جسده وما مسّه من الخير والبركة.

ولهذا لم يتبرّك الصحابة ﷺ بأحد منهم، لا في حياته ولا بعد وفاته ﷺ لا مع الخلفاء الراشدين ولا مع غيرهم. فدل ذلك على أنهم قد عرفوا أن ذلك خاصٌ بالنبي ﷺ دون غيره؛ ولأن ذلك وسيلة إلى الشرك وعبادة غير الله سبحانه .. وهكذا لا يجوز التوسل إلى الله سبحانه بجاه النبي ﷺ أو ذاته أو صفته أو بركته لعدم الدليل على ذلك؛ ولأن ذلك من وسائل الشرك به والغلوّ فيه عليه الصلاة والسلام، ولأن ذلك أيضاً لم يفعله أصحابه ﷺ ولو كان خيراً لسبقونا إليه؛ ولأن ذلك خلاف الأدلة الشرعية، فقد قال الله عزّ وجل: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا﴾ [الأعراف: ١٨٠]. ولم يأمر بدعائه سبحانه بجاه أحد أو حق أحد أو بركة أحد.

* ويلحق بأسمائه سبحانه التوسّل بصفاته كعزّته، ورحمته، وكلامه وغير ذلك.

ومن ذلك ما جاء في الأحاديث الصحيحة من التعوّذ بكلمات الله التّامّات، والتّعوّذ بعزّة الله وقدرته.

* ويلحق بذلك أيضاً التوسّل بمحبة الله سبحانه، ومحبة رسوله ﷺ وبالإيمان بالله وبرسوله، والتوسل بالأعمال الصالحات، كما في قصة أصحاب الغار الذين آواهم المبيت والمطر إلى غار فدخلوا فيه فانحدرت عليهم صخرة من الجبل فسدّت عليهم باب الغار، ولم يستطيعوا دفعها، فتذاكروا بينهم في وسيلة الخلاص منها، واتفقوا بينهم على أنه لن ينجيهم منها إلا أن يدعوا الله بصالح أعمالهم، فتوسّل أحدهم إلى الله سبحانه في ذلك ببرّ والديه، فانفرجت الصخرة شيئا لا يستطيعون الخروج منه. ثم توسّل الثاني بعفّته عن الزّنا بعد القدرة عليه، فانفرجت الصخرة بعض الشيء لكنهم لا يستطيعون الخروج من ذلك. ثم توسل الثالث بأداء الأمانة فانفرجت الصخرة وخرجوا.

* وهذا حديث ثابت في الصحيحين من أخبار من قبلنا، أخبرنا به ﷺ لما فيه من العظة لنا والتّذكير.

* وقد صرّح العلماء رحمهم الله بما ذكرته في هذا الجواب.. كشيخ الإسلام ابن تيمية وتلميذه العلامة ابن القيم، والشيخ العلاّمة عبدالرحمن بن حسن في فتح المجيد شرح كتاب التوحيد وغيرهم.

* وأما حديث توسل الأعمى بالنبي ﷺ في حياته ﷺ، فشفع فيه النبي ﷺ ودعا له فردّ الله عليه بصره، فهذا توسّل بدعاء النبي وشفاعته وليس ذلك بجاهه وحقه، كما هو

واضح في الحديث، وكما يتشفَّع الناس به يوم القيامة في القضاء بينهم، وكما يتشفَّع به يوم القيامة أهل الجنة في دخولهم الجنة، وكل هذا توسل به في حياته الدنيوية والأخروية. وهو توسل بدعائه وشفاعته لا بذاته وحقه كما صرح بذلك أهل العلم، ومنهم من ذكرنا آنفا.

س ٥: يقع كثير من العامّة في جملة من المخالفات القادحة في التوحيد فما حكمهم؟ وهل يعذرون بالجهل؟ وما حكم مناكحتهم وأكل ذبائحهم؟ وهل يجوز دخولهم مكة المكرمة؟

ج ٥: من عُرف بدعاء الأموات والاستغاثة بهم والنذر لهم، ونحو ذلك من أنواع العبادة فهو مشرك كافر لا تجوز مناكحته، ولا دخوله المسجد الحرام، ولا معاملته معاملة المسلمين ولو ادعي الجهل حتى يتوب إلى الله من ذلك؛ لقول الله عز وجل في سورة البقرة: ﴿ولا تنكحوا المشركات حتى يؤمن ولأمة مؤمنة خير من مشركة ولو أعجبتكم ولا تنكحوا المشركين حتى يؤمنوا ولعبد مؤمن خير من مشرك ولو أعجبكم﴾ [البقرة: ٢٢١] الآية.

وقوله سبحانه في سورة الممتحنة: ﴿يا أيها الذين آمنوا إذا جاءكم المؤمنات مهاجرات فامتحنوهن الله أعلم بإيمانهن فإن علمتموهن مؤمنات فلا ترجعوهن إلى الكفار لا هن حل لهم ولا هم يحلون لهن وآتوهم ما أنفقوا ولا جناح عليكم أن تنكحوهن إذا آتيتموهن أجورهن ولا تمسكوا بعصم الكوافر واسألوا ما أنفقتم وليسألوا ما أنفقوا ذلكم حكم الله يحكم بينكم والله عليم حكيم﴾ [الممتحنة: ١٠].

ولقوله عز وجل في سورة التوبة: ﴿يا أيها الذين آمنوا إنما المشركون نجس فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا﴾ [التوبة: ٢٨] الآية.

* ولا يلتفت إلى كونهم جهالا بل يجب أن يعاملوا معاملة الكفار حتى يتوبوا إلى الله من ذلك، لقول الله سبحانه في أمثالهم: ﴿وإذا فعلوا فاحشة قالوا وجدنا عليها آباءنا والله أمرنا بها قل إن الله لا يأمر بالفحشاء أتقولون على الله ما لا تعلمون (٢٨)- قل أمر ربي بالقسط وأقيموا وجوهكم عند كل مسجد وادعوه مخلصين له الدين كما بدأكم تعودون (٢٩)- فريقا هدى وفريقا حق عليهم الضلالة إنهم اتخذوا الشياطين أولياء من دون الله ويحسبون أنهم مهتدون﴾ [الأعراف: ٢٨ - ٣٠].

ولقول الله عز وجل في النصارى وأمثالهم: ﴿قل هل ننبئكم بالأخسرين أعمالا (١٠٣)- الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا﴾ [الكهف: ١٠٣، ١٠٤].

والآيات في هذا المعنى كثيرة.

س ٦ : ظهر في كثير من المجتمعات الإسلامية الاستهزاء بشعائر الدين الظاهرة: كإعفاء اللحى، وتقصير الثياب، ونحوهما، فهل مثل هذا الاستهزاء بالدين يخرج من الملة؟ وبماذا تنصحون من وقع في مثل هذا الأمر؟ وفقكم الله.

ج ٦ : لا ريب أن الاستهزاء بالله ورسوله وبآياته وبشرعه وأحكامه من جملة أنواع الكفر؛ لقول الله عز وجل: ﴿قل أبالله وآياته ورسوله كنتم تستهزءون ﴿٦٥﴾ لا تعتذروا قد كفرتم بعد إيمانكم﴾ [التوبة: ٦٥، ٦٦].

* ويدخل في ذلك الاستهزاء بالتوحيد، أو بالصلاة، أو بالزكاة، أو الصيام، أو الحج، أو غير ذلك من أحكام الدين المتفق عليها.

* أما الاستهزاء بمن يعفي لحيته أو يقصر ثيابه ويحذر الإسبال أو نحو ذلك من الأمور التي قد تخفى أحكامها، فهذا فيه تفصيل، فالواجب الحذر من ذلك، ونصيحة من يعرف منه شيء من ذلك حتى يتوب إلى الله سبحانه ويلتزم بشرعه، ويحذر الاستهزاء بمن تمسك بالشرع في ذلك، طاعة لله عز وجل ورسوله ﷺ، وحذرا من غضب الله وعقابه والردة عن دينه وهو لا يشعر، نسأل الله لنا وللمسلمين جميعا العافية من كل سوء إنه خير مسئول. والله ولي التوفيق.

س ٧ : المزاح بألفاظ فيها كفر أو فسق أمر موجود في بعض المجتمعات المسلمة، فحبذا لو ألقى سماحتكم الضوء على هذا الأمر وموقف طلبة العلم والدعاة منه؟

ج ٧ : لاشك أن المزاح بالكذب وأنواع الكفر من أعظم المنكرات، ومن أخطرها ما يكون بين الناس في مجالسهم، فالواجب الحذر من ذلك، وقد حذر الله من ذلك بقوله: ﴿ولئن سألتهم ليقولن إنما كنا نخوض ونلعب قل أبالله وآياته ورسوله كنتم تستهزءون ﴿٦٥﴾ لا تعتذروا قد كفرتم بعد إيمانكم﴾ [التوبة: ٦٥، ٦٦].

وقد قال كثير من السلف رحمهم الله: إنها نزلت في قوم قالوا فيما بينهم في بعض أسفارهم مع النبي ﷺ: ما رأينا مثل قرائنا هؤلاء أرغب بطونا، ولا أكذب ألسنا، ولا أجبن عند اللقاء، فأنزل الله فيهم هذه الآية. وصح عن النبي ﷺ أنه قال: «ويل للذي يحدث فيكذب ليضحك به القوم، ويل له ثم ويل له» أخرجه أبو داود والترمذي والنسائي بإسناد صحيح.

* فالواجب على أهل العلم وعلى جميع المؤمنين والمؤمنات الحذر من ذلك والتحذير منه؛ لما في ذلك من الخطر العظيم والفساد الكبير والعواقب الوخيمة، عافانا

الله والمسلمين من ذلك، وسلك بنا وبهم صراطه المستقيم، إنه سميع مجيب.

س ٨: ما حكم من سب الله أو سب رسوله أو انتقصهما؟ وما حكم من جحد شيئا مما أوجب الله أو استحل شيئا مما حرم الله؟ أبسطوا لنا الجواب في ذلك لكثرة وقوع هذه الشرور من كثير من الناس؟

ج ٨: كل من سب الله سبحانه بأي نوع من أنواع السب، أو سب الرسول محمدا ﷺ أو غيره من الرسل بأي نوع من أنواع السب، أو سب الإسلام أو تنقص أو استهزأ بالله أو برسوله ﷺ فهو كافر مرتد عن الإسلام إن كان يدعي الإسلام بإجماع المسلمين؛ لقول الله عز وجل: ﴿قل أبالله وآياته ورسوله كنتم تستهزءون ۝٦٥ لا تعتذروا قد كفرتم بعد إيمانكم﴾ [التوبة: ٦٥، ٦٦] الآية.

* وقد بسط العلامة أبو العباس ابن تيمية رحمه الله الأدلة في هذه المسألة في كتابه «الصارم المسلول على شاتم الرسول» فمن أراد الوقوف على الكثير من الأدلة في ذلك فليراجع هذا الكتاب لعظم فائدته، ولجلالة مؤلفه واتساع علمه بالأدلة الشرعية رحمه الله.

* وهذا الحكم في حق من جحد شيئا مما أوجبه الله أو استحل شيئا مما حرمه الله من الأمور المعلومة من الدين بالضرورة، كمن جحد وجوب الصلاة أو وجوب الزكاة، أو وجوب صوم رمضان، أو وجوب الحج في حق من استطاع السبيل إليه، أو جحد وجوب بر الوالدين أو نحو ذلك، مثل ذلك من استحل شرب الخمر، أو عقوق الوالدين، أو استحل أموال الناس ودماءهم بغير حق، أو استحل الربا أو نحو ذلك من المحرمات المعلومة من الدين بالضرورة وبإجماع سلف الأمة، فإنه كافر مرتد عن الإسلام إن كان يدعي الإسلام بإجماع أهل العلم، وقد بسط العلماء رحمهم الله هذه المسائل وغيرها من نواقض الإسلام في باب حكم المرتد ووضحوا أدلتها، فمن أراد الوقوف على ذلك فليراجع هذا الباب في كتب أهل العلم من الحنابلة، والشافعية، والمالكية، والحنفية وغيرهم، ليجد ما يشفيه ويكفيه إن شاء الله، ولا يجوز أن يعذر أحد بدعوى الجهل في ذلك؛ لأن هذه الأمور من المسائل المعلومة بين المسلمين وحكمها ظاهر في كتاب الله عز وجل وسنة رسوله ﷺ، والله ولي التوفيق.

س ٩: في هذا الزمان عظم النفاق وكثر أهله، وتعددت وسائلهم في محاربة الإسلام والمسلمين، فحبذا لو ألقيتم الضوء على خطر النفاق مع بيان أنواعه، وذكر صفة أهله وتحذير المسلمين منهم؟

ج ٩ : النفاق خطره عظيم، وشرور أهله كثيرة، وقد أوضح الله صفاتهم في كتابه الكريم في سورة البقرة وغيرها، كما أوضح صفاتهم أيضا نبيه ﷺ، قال الله سبحانه في وصفهم في سورة البقرة: ﴿ومن الناس من يقول آمنا بالله وباليوم الآخر وما هم بمؤمنين ۝٨ يخادعون الله والذين آمنوا وما يخدعون إلا أنفسهم وما يشعرون ۝٩ في قلوبهم مرض فزادهم الله مرضا ولهم عذاب أليم بما كانوا يكذبون﴾ [البقرة: ٨ - ١٠] والآيات بعدها. وقال في سورة النساء: ﴿إن المنافقين يخادعون الله وهو خادعهم وإذا قاموا إلى الصلاة قاموا كسالى يراءون الناس ولا يذكرون الله إلا قليلا ۝١٤٢ مذبذبين بين ذلك لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء﴾ [النساء: ١٤٢، ١٤٣] الآية. وذكر عنهم صفات أخرى في سورة التوبة وغيرها.

والخلاصة: أنهم يدعون الإسلام ويتخلقون بأخلاق تخالفه وتضر أهله كما بين سبحانه في هذه الآيات وغيرها.

النفاق نوعان: اعتقادي وعملي:

وما ذكر الله عن المنافقين في سورة البقرة والنساء من صفات المنافقين هو النفاق الاعتقادي الأكبر، وهم بذلك أكفر من اليهود والنصارى وعباد الأوثان لعظم خطرهم وخفاء أمرهم على كثير من الناس. وقد أخبر الله عنهم سبحانه أنهم يوم القيامة في الدرك الأسفل من النار.

* أما النفاق العملي فهو التخلق ببعض أخلاقهم الظاهرة مع الإيمان بالله وبرسوله، والإيمان باليوم الآخر؛ كالكذب، والخيانة، والتكاسل عن الصلاة في الجماعة، ومن صفاتهم ما ثبت في الحديث الصحيح عن النبي ﷺ أنه قال: «آية المنافق ثلاث: إذا حدث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا اؤتمن خان». وقوله ﷺ: «أثقل الصلاة على المنافقين صلاة العشاء وصلاة الفجر، ولو يعلمون ما فيهما لأتوهما ولو حبوا». والآيات والأحاديث في هذا المعنى كثيرة.

* فالواجب على كل مؤمن ومؤمنة أن يحذر صفاتهم غاية الحذر، ومما يعين على ذلك تدبر ما ذكره الله في كتابه من صفاتهم، وما صحت به السنة عن رسول الله ﷺ في ذلك.

والله المسئول أن يوفقنا وجميع المسلمين للفقه في دينه، والثبات عليه، والحذر من كل ما يخالف شرعه، ومن التشبه بأعدائه في أخلاقهم وأعمالهم، إنه خير مسئول.

* * *